(٣٥) خطبة له ﷺ فى الترهيب من زهرة الدنيا وزينتها

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه ، قال : جلس رسول الله ﷺ على المنبر ، وجلسنا حوله ، فقال :

« **إنَّ مِمَّا أخافُ عَلَيكم ما يفتحُ اللهُ علَيكُم مِنْ زَهرةِ الدُّنيا وزِيْنَتِهَا** »(١) .

(رواه البخارى ، ومسلم فى حديث)

وكذلك رواه ابن أبى حاتم ، قال : أنبأنا يونس ، أخبرنى ابن وهب ، أخبرنى مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ ، قال :

« **إنَّ أخوفَ ما أخافُ علَيكم ما يفتحُ لكم مِنْ زهرةِ الدُّنيا** ». قالوا : وما زهرة الدنيا ؟ . قال : « **بَرَكَاتُ الأرضِ** » .

فى هذه الخطبة الجامعة ـ كما قرأنا ـ وكما ذكرنا قبل ذلك : يشير النبى ﷺ إلى بعض مخاوفه التى منها : أنه يخشى علينا من « **زَهْرةِ الدُّنيا وزِينتِهَا** » .

---

(١) زهرة الدنيا ، يعنى : زينة الحياة الدنيا ، كما قال قتادة والسدى ، وعلى هذا فقوله : « وزينتها » عطف تفسير ، ويجوز أن يراد بالزهرة ما يتمتع به فيها من الشهوات .

وذلك لأن الدنيا لها سحرها الأخَّاذ ، ولها فتنتها التى لا حصر لها .

وكم كانت سبباً في ضياع الكثيرين من الناس الذين أشار إليهم الله تعالى فى قوله :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾(١) .

ولهذا فإن العبد الموفق هو الذى ينظر إلى تلك الدنيا على أنها دار مؤقتة ، وأن مثله فيها كمثل الضيف الذى لابد وأن يرحل منها وإن طالت إقامته فيها . . وقد ورد فى حديث رواه البخارى :

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى ، فقال :

« كُنْ فى الدُّنيا كأنكَ غريبٌ أو عابرُ سَبيل» .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول :

«إذا أمسيتَ فلا تنتظرِ الصَّباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المسَاء ، وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» .

وعن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه ، قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ ، فقال : يا رسول الله . . دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ، فقال :

---

(١) سورة آل عمران : ١٤

« **ازْهَدْ فى الدُّنيا يُحِبَّكَ اللهُ، وازْهَدْ فيما عندَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ** ».

(حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة)

وإذا كان الحديث الأخير هذا يدعو إلى الزهد فى الدنيا ، فليس المراد أن يترك الإنسان العمل للدنيا ويتفرغ لأعمال الآخرة ، وإنما المراد كما قال العلماء :

« **ليسَ الزاهدُ مَنْ لا مَالَ عندَه ، بَلِ الزاهدُ مَنْ لَمْ يَشْغَلِ المَالُ قَلْبَهُ وإنْ أُوتى مثلَ ما أُوتى قَارُون** » .

وفى الحديث الشريف يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

« **خيركُم مَنْ لَمْ يتركْ آخرتَه لدُنياه، ولا دُنياه لآخرَتِه، ولمْ يكنْ كَلاً علَى النَّاس** » .

وفى الحديث الشريف :

« **نِعْمَ المَالُ الصَّالِح للرَّجُلِ الصَّالِح** » .

فلنلاحظ ـ إن شاء الله تعالى ـ كل هذا حتى نكون من أبناء الآخرة ، لا من أبناء الدنيا ، وحتى نكون من الفطناء الذين قال فيهم علىٌّ رضي الله عنه :

إنَّ للَّـهِ عِـبَـــاداً فُطَـنَا ... طَلَّقُوا الدُّنيا وخَافُوا الفِتَنَا

نَظَرُوا فِـيهَـا فلمَّا عَلِمُـوا ... أنَّهَـا لَيْـسَتْ لِـحَيٍّ وَطَنَا

جَعَلُوهَا لُجَّةً[1] واتَّخَذُوا ... صَالِحَ الأعْمَالِ فِـيهَا سُفُنَا

* * *

(١) اللجة ـ أى : البحر .